هوامش

تأسست أوركسترا «زهرة» النسائيّة في 2014، وأصبحت رمزاً عالمياً للحرية التي بدأ الأفغان يشعرون بها في العشرين عاماً منذ آخر مرة حكمت طالبان البلاد

الحياة في ظل حكم طالبان يمكن ان تكون اسوا بكثير من همسات السخرية (Getty)

توقف الموسيقى

الصمت يغلف أوركسترا نسائية أفغانية

كانت نيجين خبالواك في منزلها في كابول حين سمعت أن طالبان وصلت إلى ضواحي العاصمة. وسرعان ما انتاب الذعر قائدة الأوركسترا البالغة من العمر 24 عاماً، والتي كانت يوماً وجهاً لأوركسترا أفغانية ذائعة الصيت جل أعضائها من النساء.

وفي المرة الأخيرة التي وصل فيها المتشددون الإسلاميون إلى الحكم حرموا الموسيقى ولم يسمحوا للنساء بالعمل. وفي الأشهر الأخيرة من تمردهم، نفذوا هجمات تستهدف من اعتبروهم خانوا رؤيتهم لأحكام الإسلام.

تحركت خبالواك سريعاً في أنحاء الغرفة، سحبت رداء لتغطي ذراعيها العاريتين وأخفت مجموعة من الطبول المزخرفة. ثم جمعت صوراً ومقتطفات موضوعات صحافية عن عروضها الموسيقية الشهرية، وجمعتها في كومة واحدة قبل أن تحرقها. وقالت خبالواك التي فرت إلى الولايات المتحدة بين آلاف ممن هربوا إلى الخارج بعد أن سيطرت طالبان بشكل خاطف على أفغانستان «شعرت بالفزع الشديد، شعرت بأن ذكريات حياتي كاملة تحولت إلى رماد». تلخّص قصة الأوركسترا في الأيام التي أعقبت انتصار طالبان، والتي جمعتها رويترز جنباً إلى جنب عبر مقابلات مع أعضاء مدرسة خبالواك الموسيقية، مشهد الصدمة الذي أحس به شبان أفغان مثل خبالواك، على الأخص النساء.

وتتألف الأوركسترا، التي تُسمى «زهرة» تيمناً بإلهة الموسيقى الفارسية، بشكل أساسي من فتيات ونساء من دار للأيتام في كابول تتراوح أعمارهن بين 13 و20 عاماً. تأسست الأوركسترا في 2014، وأصبحت رمزاً عالمياً للحرية التي بدأ الأفغان يشعرون بها في العشرين عاماً منذ آخر مرة حكمت طالبان البلاد، على الرغم من العداء والتهديدات اللذين استمرت تواجههما من البعض في البلد الإسلامي المحافظ بشدّة.

وترتدي النساء أغطية حمراء برّاقة للرأس، ويعزفن مزيجاً من الموسيقى الأفغانية التقليدية والكلاسيكية الغربية، بآلات محلية، مثل الربابة الشبيهة بالغيتار، أمام جمهور استمتع بأدائهن في أماكن امتدّت من دار أوبرا سيدني حتى المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس. واليوم، يحرس مقاتلو طالبان المسلحون المعهد الوطني الأفغاني للموسيقى المغلق، الذي كانت المجموعة تمارس فيه العزف، بينما أمرت الحركة في بعض أجزاء البلاد محطات الإذاعة بوقف بث الموسيقى.

وقال أحمد سارماسات مؤسس المعهد «لم نتوقع أبداً أن تعود أفغانستان إلى العصر الحجري»، مضيفاً أن أوركسترا زهرة كانت مثالاً للحرية وتمكين المرأة في أفغانستان وأن عضواتها كن يعملن «دبلوماسيات ثقافيات». وقال سارماسات، متحدّثاً من أستراليا، لرويترز، إن طالبان منعت الموظفين من دخول المعهد.

وقال: «فتيات أوركسترا زهرة، وبقية فرق الأوركسترا والمجموعات في المدرسة (المعهد)، يخشين على حياتهن وهن مختبئات». ولم يردّ متحدث باسم طالبان حتى الآن على أسئلة بشأن وضع المعهد. ومنذ عودتها إلى السلطة مع انحساب آخر الجنود الغربيين من البلاد، سعت طالبان إلى طمأنة الأفغان والعالم الخارجي بشأن الحقوق التي ستسمح بها. وقالت الحركة إنه سيتم السماح بالأنشطة الثقافية، وكذلك الوظائف والتعليم للنساء، ضمن حدود الشريعة والممارسات الإسلامية والثقافية في أفغانستان.

في الوقت الذي كانت فيه خبالواك تحرق بذعر ذكرياتها الموسيقية في 15 أغسطس/ آب، وهو اليوم الذي دخلت فيه طالبان كابول من دون قتال، كانت بعض قريناتها يحضرن تدريباً في المعهد الوطني للموسيقى، استعداداً لجولة دولية كبيرة في أكتوبر/ تشرين الأول. وفي العاشرة صباحاً بالتوقيت المحلي، هرع حراس أمن المعهد إلى غرفة التدريب ليخبروا الموسيقيين بأن طالبان تقترب، وأثناء مسارعتهم إلى الهرب، ترك الكثيرون خلفهم الآلات ثقيلة الوزن ولافتة المظهر والتي يصعُب حملها في شوارع العاصمة، وفقاً لما ذكره سارماسات.

وقال سارماسات الذي كان في أستراليا في ذلك الوقت إنه تلقى العديد من الرسائل من الطلاب القلقين بشأن سلامتهم ويطلبون المساعدة. وأبلغه موظفوه بألا يعود إلى البلاد، بسبب بحث طالبان عنه وتعرّض منزله للهجوم عدة مرات. وتسلّطت الأضواء على الأخطار التي تواجه الفنانين في أفغانستان بصورة وحشية في 2014، حين فجّر مهاجم انتحاري نفسه خلال عرض مسرحي في مدرسة تديرها فرنسا في كابول، مما أصاب سارماسات الذي كان بين الحضور بجروح. وفي ذلك الوقت، أعلن مقاتلو طالبان مسؤوليتهم عن الهجوم، وقالوا إن المسرحية، التي تدين التفجيرات الانتحارية، إهانة «للقيم الإسلامية».

وحتى خلال 20 عاماً كانت السلطة خلالها لحكومة مدعومة من الغرب في كابول، تسامحت مع حريات مدنية أكبر من طالبان، كانت ثمة مقاومة لفكرة الأوركسترا النسائية بالكامل. وتحدّثت عضوات في أوركسترا زهرة في السابق عن اضطرارهن لإخفاء موسيقاهن عن الأسر المحافظة وتعرّضهن لإساءات لفظية وتهديدهن بالضرب. بل إنه كانت هناك اعتراضات بين الشبان الأفغان.

وتتذكر خبالواك حادثة في كابول حين توقفت مجموعة من الصبيان لتشاهد أحد عروضهن باهتمام بالغ. وبينما كانت تحزم أغراضها، سمعتهم يتحدّثون فيما بينهم، وتتذكر قولهم «يا له من عار، تلك الفتيات يعزفن الموسيقى»، «كيف سمحت لهن عائلاتهن بذلك...الفتيات مكانهن البيت».

قالت نظيرة والي (21 عاماً)، وهي عازفة تشيلو سابقة في زهرة، إن الحياة في ظل حكم طالبان يمكن أن تكون أسوأ بكثير من همسات السخرية. وأضافت والي، والتي كانت تدرس في الولايات المتحدة حين أعادت طالبان الاستيلاء على كابول، إنها كانت على اتصال مع عضوات الأوركسترا في الوطن اللواتي كن يخشين من العثور عليهن لدرجة أنهن حطّمن الآلات الموسيقية الخاصة بهن وحذفن حساباتهن على مواقع التواصل الاجتماعي. وقالت «قلبي يرتجف من الخوف عليهن، لأن طالبان الآن هناك، لا يمكننا أن نتنبأ بما قد يحدث لهن في اللحظة التالية».

«إذا استمرت الأمور كما هي، لن تكون هناك موسيقى في أفغانستان». وتواصلت رويترز مع عدد من عضوات الأوركسترا اللاتي بقين في كابول من أجل الحديث ضمن هذا التقرير، ولم يرد أحد. وتمكنت خبالواك من الفرار من كابول، بعد أيام قليلة من وصول طالبان، على متن طائرة إجلاء مع مجموعة من الصحافيات الأفغانيات. وتوافد عشرات الآلاف من الأفغان إلى مطار كابول محاولين الفرار من البلاد، واقتحموا مدرج الطائرات، وفي بعض الحالات تشبثوا بالطائرات المغادرة من الخارج. ولقي الكثيرون مصرعهم في الفوضى.

وخبالواك أصغر سناً من أن تتذكر بالكامل الحياة في ظل الحكم السابق لطالبان، لكن الوصول إلى العاصمة وهي فتاة صغيرة لكي تذهب إلى المدرسة عالق في ذاكرتها. وتقول «كل ما رأيته هو أنقاض، ومنازل مهدمة، وثقوب في الجدران التي أصابتها الرصاصات. هذا كل ما أتذكره. وتلك هي الصورة التي ترد في ذهني حالياً حين أسمع اسم طالبان». وفي مدرسة الموسيقى كانت تجد العزاء، وبين زميلاتها في فرقة زهرة «كانت الفتيات أقرب إليها من أسرتها». وقالت «لم يكن هناك يوم واحد سيئ، لأنه كانت هناك دائماً موسيقى، كانت مليئة بالألوان والأصوات الجميلة. لكن الآن لا يسود سوى الصمت».

(رويترز)

باختصار

ترتدي النساء أغطية حمراء براقة للرأس، ويعزفن مزيجاً من الموسيقى الأفغانية التقليدية والكلاسيكية الغربية، بآلات محلية مثل الربابة الشبيهة بالغيتار

■■■

في العاشرة صباحاً بالتوقيت المحلي، هرع حراس أمن المعهد إلى غرفة التدريب ليخبروا الموسيقيين بأن طالبان تقترب

■■■

بقيت عضوات من الأوركسترا في كابول بعد دخول طالبان إليها، وخشيةً من العثور عليهنّ حطّمن آلاتٍ موسيقيّة وحذفن حساباتهنّ

وأخيراً

«نثر» العُمانية وإشعاع عكسي

محمود الرحبي

اعتاد الكتّاب العُمانيون أن ينشروا خارج بلدهم، وخصوصاً في لبنان، ليس فقط بسبب الرّقابة المجهرية، بل أيضاً لأسبابٍ جماليةٍ، تتعلق بنوعية الورق وشكل الغلاف والتصميم. فبسبب انعدام دُور نشر مختصّة في عُمان، حيث ثمّة قانون تجاري يفرض إيداع مبالغ باهظة كضمان بنكي، يتعذر لكثيرين القيام به، فكانت بذلك المطابع التجارية هي التي تتولّى طباعة الكتب، وهي تطبع «أي شيء» يفد إليها و«بأي شكل»، ما دامت تحقّق منه ربحاً مضموناً. أمر آخر كان يدفع الكتّاب العُمانيين إلى البحث عن ناشر خارج حدود السلطنة، هو التوزيع (أو الأمل فيه)، على الرغم من أن هذا الأمر لم يعد يرضي الكاتب، بعدما اكتُشف «تلاعب» بعض دور النشر في موضوع مشاركة الكتاب العُماني في المعارض العربية، إذ لا تجدها في الغالب في معارض خارج عُمان، إلا في التي اعتاد عمانيون زيارتها، مثل معرض الشارقة للكتاب...

أخيراً، استُحدثت في مسقط دار نشر جديدة خاصة، «دار نثر». ما يميّزها أنها لم تكتفِ بإصدار الكتاب العُماني، بل صار لها إشعاعها الخارجي، بعدما نشرت أعمالاً من خارج عُمان، مثل كتاب «الأبدية في بكين» وهو كتاب رحلات للمغربي محمود عبد الغني، وشكّل نشره بداية لاستقطاب أقلام نوعية للنشر في دار نشر عُمانية، بعدما كان العكس ما يحدث. وأحدثت «نثر» طفرة فنية في أغلفة الكتب التي تعمل على إصدارها. بين جمالية الشكل وجدّة المواضيع، يمكن هذه الدار أن تجد مكانها في دور النشر العربية. وبذلك استطاعت أن تشكّل جاذبية، حيث استطاعت، في السنة الأولى لتأسيسها، أن تتكفل بنشر كتب أعضاء «الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء»، وهي كتب في شتّى الأجناس الأدبية، تتوزّع بين الأدب والسير والتأريخ، إلى جانب البحوث النقدية، التي عادة ما تكون أطروحاتٍ للدراسات العليا في مجالات أدبية وإنسانية، يتقدّم بها أعضاء الجمعية كل عام. ويُعهد بهذه الأعمال إلى لجنة تقييم فني، قبل نشرها. وقد أصدرت «نثر»، وهي دار النشر الوحيدة في عُمان بهذه المواصفات الفنية والموضوعية، ما يناهز 42 عنواناً، و«تفاجئنا»، من وقت إلى آخر، بكتِاب عُماني أو عربي لافت، في التأليف أو الترجمة. وحتى لا نغمط داراً أخرى حقها، لا بد من الحديث أيضاً عن «دار الغشام» التي كان لها قصب السبق في الخروج من ربقة المطابع المحلية. فقد أصدرت عشرات العناوين، ولها مشاركات وحضور في معارضَ عربية، لكن عدم انتقائيتها ربما أصابها بالتضخّم، مع أسباب مالية، ما انتهى بها إلى إغلاق أبوابها.

على الرغم من ضعف إشعاع دور النشر العُمانية مقارنةً بغيرها في البلدان العربية، من المهم التوقف عند تجربتين رائدتين: الأولى في زنجبار، حيث أنشأ السلطان برغش البوسعيدي مطبعة عربية عُرفت بـ«المطبعة السلطانية»، من ثمارها كتب فقهية ولغوية، سواء من عُمان أو من خارجها. أما الثانية فمُعاصِرة، وتتعلق بـ«منشورات نجمة» في الرباط في التسعينيات، التي تمكّنت، في فترة وجيزة من حياتها، من إصدار كتبٍ نوعيةٍ وقيّمة. وقد كان كاتب هذه السطور شاهداً على طباعة بعضها، منها رواية غالب هلسا «ثلاثة وجوه لبغداد» و«الدنو من المعتصم» لبورخيس، الذي ترجمه إلى العربية إبراهيم الخطيب، ورواية ليوسف فاضل، وهو أحد مؤسّسي الدار، بالإضافة إلى الأعمال الشعرية الأولى للعمانيين عبد الله الريامي ومحمد الحارثي وناصر العلوي، الذين كانوا من مؤسّسي الدار التي أسهم في تأسيسها أيضاً الإعلامي العماني إبراهيم اليحمدي.

> استُحدثت في مسقط دار نشر جديدة خاصة «دار نثر». يميّزها انها لم تكتفِ بإصدار الكتاب العُماني

وبالعودة إلى «دار نثر»، يمكن الإشارة إلى آخر إصداراتها، وهما مجموعتان قصصيتان «قوانين الفقد» و«الدرّاجة الهوائية» لكل من مازن حبيب وحمود الشكيلي في غلافين متميزين.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**